



اكتشف السوريون الساعون إلى تحرير بلدتهم من الاحتلال الأسدية أخيراً، أنهم بحاجة إلى «غاندي» تلتـف حوله المجاميع السورية بتنوعها وتمايزها واختلافاتها وخلافاتها. أدركوا متأخرين أن النضال من الخارج باتجاه الداخل بحاجة إلى شخصية ذات جوانب «كارزمية» تجذب الجميع باتجاه الهدف الأسـمى. عرفوا بهذا الأمر بعد مرور أشهر سلبية طويلة، لذلك اخترعوا أـحمد مـعاـذ الخطـيب.

جاءوا بالرجل من كواليس الدعوة المعتدلة والصوت الخفيض، وقالوا له: أنت بطلنا، رمنـنا، موحدـنا، أنت صوتـنا العـالـيـ، صحيح أن تاريخـك النـضـالي ليس واضحـاً بشـكـلـ كـافـ، وصـحـيـحـ أنـكـ لـسـتـ مـفـكـراً عـظـيـمـاً يـتـنـاقـلـ النـاسـ نـظـرـيـاتـهـ وـرـؤـاهـ، وصـحـيـحـ أنـكـ لـسـتـ مـعـرـوـفـاً بـحـرـوبـكـ فـيـ الإـصـلـاحـ الـاجـتـمـاعـيـ، لـكـ نـوعـيـتـكـ هـيـ التـيـ نـرـيـدـهـاـ بـالـضـبـطـ فـيـ هـذـهـ الـمـرـحـلـةـ، إـسـلـامـيـ مـعـتـدـلـ يـنـحـازـ الشـعـبـ إـلـيـهـ، وـسـلـيلـ عـائـلـةـ دـمـشـقـيـةـ يـنـتـهـيـ نـسـبـهـاـ بـالـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، فـتـلـفـ حـولـهـ طـوـافـهـ الـغـالـبـيـةـ السـوـرـيـةـ كـافـ، وـقـلـيلـ حـظـ مـنـ التـارـيـخـ السـيـاسـيـ، فـلـاـ خـصـومـ سـيـاسـيـنـ لـهـ، وـرـجـلـ يـلـبـسـ الـبـلـدـةـ إـلـفـرـنـجـيـةـ بـلـاـ مـوـاـفـقـ عـدـائـيـةـ لـلـغـرـبـ.

الوضع في سوريا اتـخـذـ مـسـارـاً مـخـتـلـفاً عنـ الـأـوـضـاعـ فـيـ تـونـسـ وـمـصـرـ وـالـيـمـنـ. الثـورـةـ الـخـاطـفـةـ لـمـ تـجـدـ نـفـعاًـ فـيـ الـبـلـادـ الشـامـيـةـ، لـذـلـكـ كـانـ لـاـ بـدـ مـنـ اـخـتـرـاعـ شـخـصـيـةـ غـانـدـيـ تـعـمـلـ بـصـبـرـ وـرـوـيـةـ عـلـىـ مـدـىـ زـمـنـ قدـ يـطـوـلـ، وـيـكـوـنـ دـوـرـهـ الرـئـيـسـ جـمـعـ الـأـصـوـاتـ الـمـعـارـضـةـ (الـعـسـكـرـيـةـ وـالـمـدـنـيـةـ)ـ فـيـ حـنـجـرـةـ وـاحـدـةـ. عـرـفـ صـنـاعـ قـرـارـ الـمـعـارـضـةـ أـخـيـراًـ أـنـ الـمـقـاتـلـينـ فـيـ الـمـيـدـانـ (الـذـينـ يـذـكـرـونـ اللـهـ كـثـيـراًـ فـيـ فـيـديـوـاتـ "يـوـتـيـوبـ")ـ، بـحـاجـةـ إـلـيـ شـخـصـيـةـ جـازـبـةـ تـصـنـعـ مـنـهـمـ جـيـشـاًـ مـنـظـمـاًـ يـتـبعـ مـرـجـعـيـةـ وـاحـدـةـ بـدـلـاًـ مـنـ التـشـكـيلـاتـ الـحـالـيـةـ الـتـيـ تـتـكـونـ مـنـ جـمـاعـاتـ مـتـمـرـدـةـ، تـأـتـمـرـ كـلـ مـنـهـاـ بـإـمـرـةـ قـائـدـ مـيـدـانـيـ رـبـماـ لـاـ يـعـرـفـ عـنـ عـمـلـيـةـ تـحـرـيرـ سـوـرـيـةـ سـوـىـ أـنـهـاـ جـهـادـ مـقـدـسـ فـقـطـ!ـ وـأـدـرـكـواـ كـذـلـكـ أـنـ التـظـاهـرـاتـ الـحـاشـدـةـ الـتـيـ لـاـ تـتـشـكـلـ إـلـاـ إـثـرـ كـلـ صـلـاـةـ جـمـعـةـ بـحـاجـةـ إـلـيـ رـجـلـ ذـيـ زـبـبـةـ صـلـادـةـ!ـ عـرـفـواـ أـنـ عـلـيـهـمـ جـرـ الشـارـعـ السـوـرـيـ الدـاخـلـيـ بـوـاسـطـةـ حـبـلـ عـاطـفـتـهـ!ـ وـتـرـكـ مـسـأـلـةـ الـاعـتـرـافـ الـخـارـجـيـ لـظـرـوفـ الـضـمـانـاتـ وـالـوـعـودـ الـمـسـنـوـدـةـ أـصـلـاًـ، بـتـعـيـنـ الـمـسـيـحـيـ جـورـجـ صـبـراـ رـئـيـسـاـ لـلـمـجـلـسـ الـوطـنـيـ السـوـرـيـ. مـسـلـمـ مـعـتـدـلـ لـلـنـاسـ هـنـاـ، وـمـسـيـحـيـ مـعـرـوفـ بـوـطـنـيـتـهـ لـلـنـاسـ هـنـاـ، هـكـذـاـ تـسـتـقـيمـ الـأـمـورـ وـتـعـتـدـلـ مـنـ وـجـهـةـ الـنـظـرـ السـوـرـيـةـ

لا بأس إذاً من هذه الحركة الذكية، لكن على منظري المعارضة أن يضعوا في حسابهم عدداً من الأمور التي تعضد هذا التوجه وتساهم في نجاحه في الغدين القريب والبعيد.

أولاً: ينبعى للمجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، أن يتفقا على دستور مؤقت للثورة السورية، يكون بمثابة دباجة للدستور السوري الجديد الذي سيكتب بعد القضاء على نظام بشار الأسد.

ليس شرطاً أن يتحدث هذا الدستور عن التفاصيل الدقيقة للبناء السوري الحديث، وإنما يمكن الالتفاء فقط بإعلان المحاور الرئيسية لشكل سورية المقبل ونظام علاقاتها الداخلية والخارجية، هذا الدستور الابتدائي الذي قد يكون على غرار إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي الصادر في 1789، سيؤمن جدار حماية للسوريين كافة بعد القضاء على الأسد، وسيجعل من غاندي الجديد شخصية قابلة للذوبان في المستقبل السوري، بحيث لا يظل طوال الوقت يرمي فردة حذائه الأخرى على الشعب للانتفاع بأختها الضائعة، ولا يسلب الشعب أحذيتهما في المقابل وينتفع بها ويبقىهم حافين، لكونه فقط «الرجل المتفق عليه»!

عليهم أن يصنعوا دستوراً يؤكد ما قاله الشيخ الخطيب ذات يوم: السياسة وسيلة لا غاية، وعمل الأنبياء هو الهدایة، ونفضل أن يصل الإيمان إلى أصحاب الكراسي، على أن يصل أصحاب الإيمان إلى الكراسي.

ثانياً: على السوريين الذين يريدون أن يعبروا بغاندي الجديد إلى سماوات الحرية، عليهم كذلك أن يحتفظوا به للسنوات التي تلي إسقاط بشار الأسد. المزاج العام في سورية ليس مدنياً وليس ديموقراطياً، ولم يكن كذلك عبر التاريخ، وبالتالي فإننا لا نتوقع أن يتحول المجتمع بكيسة زر بعد سقوط نظام البعث إلى المدنية والديمقراطية.

المجتمع سيمر بمرحلة انتقالية قد تطول وقد تقصير، وهذه المرحلة بحاجة إلى غاندي جاذب لا تقل أهمية دوره عن غاندي التحرير، لذلك فإنه ينبغي للسوريين أن يعوا أن وجود أحمد الخطيب على رأس الحكومة السورية، رئيس لها أو مشرف عليها، في سنوات الانتقال بعد التحرير، سيجنب البلاد صدمة الحرية الجديدة، وما علينا في هذا الجانب سوى تخيل الوضع في ليبيا، لو كان غاندي التحرير الليبي مصطفى عبد الجليل ما زال موجوداً حتى اليوم!

كل البلاد الجديدة على المدنية والديمقراطية بحاجة إلى عرب يشمل برعايته حركة التغيير حتى يكتمل بناء الروح الديمقراطية في نفس كل مواطن كبر دوره في المجتمع أو أقل.

ثالثاً: على غاندي الجديد أن يعرف أن التغيير في هذا الزمن لا يتأتى بقدرات الأفراد الخارقة، هذه الأنواع من التغيير ولى زمانها، التغيير الان لا يمكن أن يكون إن لم تتضافر الجهود في إدارات يتغلب فكرها الجماعي على الأفكار والرؤى المفردة مهما بلغت من العبرية والتفرد، عليه ألا ينجرف كثيراً خلف سحر وجاذبية الجماهيرية التي قد تتشكل له قريباً.

عليه أن يدرك أن الالتفاف المتوقع حوله إنما هو التفاف حول رمز ذي شخصية اعتبارية، ربما يسقط بمجرد أن يتحرك بناءً على حقه في استخدام مصداته الدفاعية الجماهيرية!

سينجح غاندي الجديد، سينجح إن لم تكبر ذاته الداخلية إلى الدرجة التي تحجب عن عقله أنوار الهدف الحقيقي، وسينجح إن لم يستخدمه أبطال النضال كـ"خيال مأة" فقط كما يقول إخواننا المصريون.

المصادر: